

٩١

تشرين الأول ٢٠٢٢م

مكتبة الطفولة

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
مديرية منشورات الطفل

نشامي يا ثوت!

قصة: هند مصطفى

رسوم: قحطان الطلاع





رئيس مجلس الإدارة
وزيرة الثقافة
الدكتورة لبنانة مشوّح

الإشراف العام
المدير العام للهيئة
العامّة السّوريّة للكتاب
د. نايف الياسين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإخراج الفنّي
هيثم الشيخ علي

الإشراف الطباعيّ
أنس الحسن

مكتبة الصّفوف

سلسلة قصصيّة موجهة إلى الأطفال

نشامي يا توت!

قصة: هند مصطفى

رسوم: قحطان الطلاع





لم تنم توتة هذه الليلة. تقلّبت في فراشها. عدت نجوم السماء، فهي في أشد الحماس ليوم الغد، أمّا أفراد الأسرة، فقد غطّوا في نوم عميق على سطح بيتهم الريفي في غوطة دمشق، فغداً صباحاً، ستزور توتة مدينة دمشق القديمة بصحبة أبيها وأخيها عبدو.

كان يوماً صيفياً شاقاً وممتعاً. ساعدت توتة أسرتها في جني حبات التوت الشامي الحمر القانية من بستانهم. تعلّمت من أمّها غلي التوت الناضج مع السكر لصنع مربّى التوت اللذيذ، وساعدت أباهما في عصر التوت وتصفيته لصنع الشراب المنعش. كان عبدو يُعبئ التوت الطازج والمربّى والشراب في قوارير زجاجية وفي أوعية نظيفة.

وقبل شروق الشمس، جمع أفراد الأسرة ما أنتجوه، ووضعوه في شاحنة صغيرة. شعرت توتة بالفخر، وقالت: صنعنا كلّ ذلك من حبات التوت.

قالت الأم: إنّ بلادنا مشهورة بزراعة أشجار التوت. تنتشر زراعته في المحافظات السورية كلّها،





ولا سيّما التُّوت الشّاميّ الأحمر.
قالت توتة: لكنّ لماذا يأخذُ جارُّنا سليم أوراق التُّوت في
الرّبيع؟

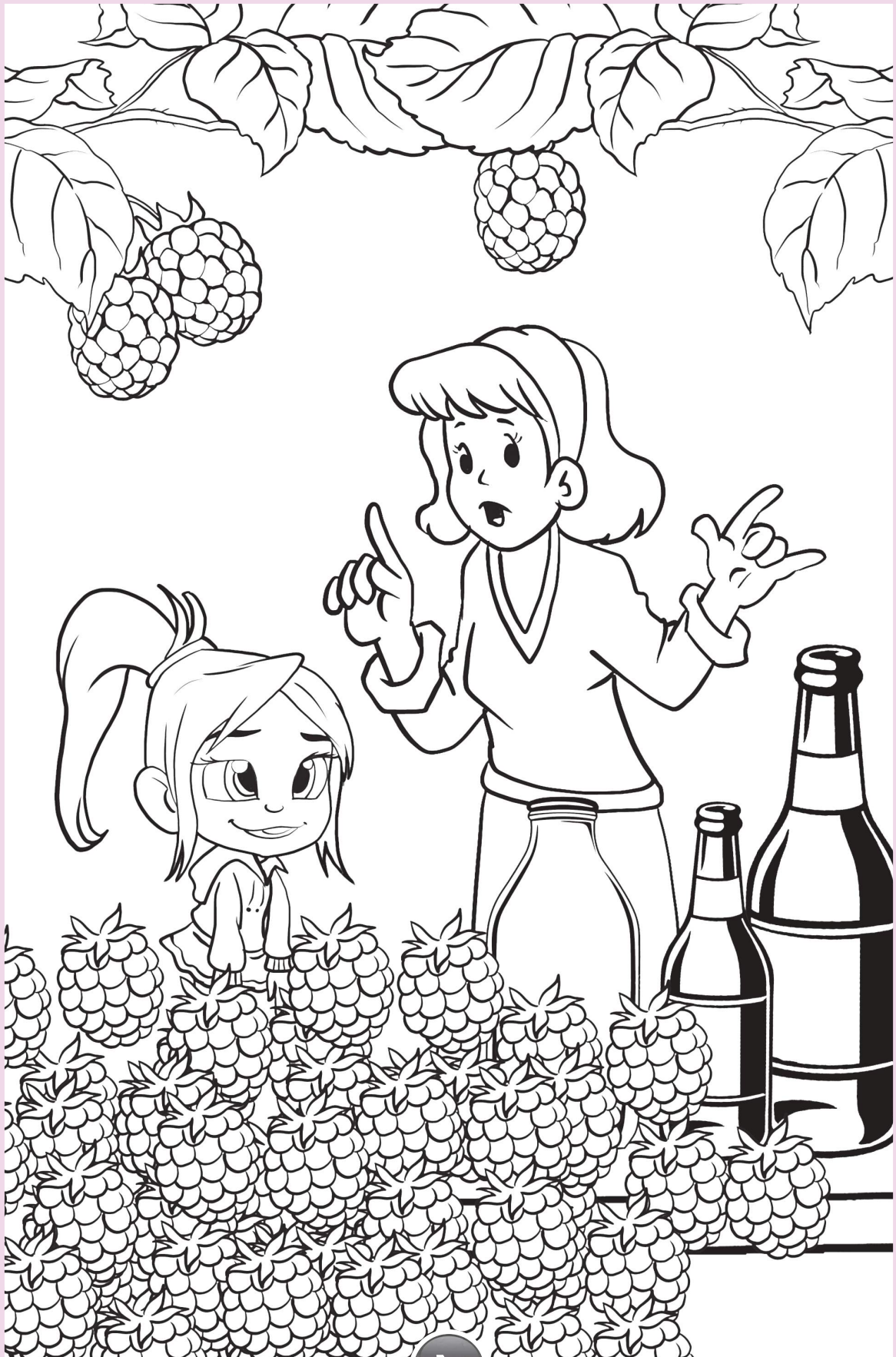
قال الأب: أوراق التُّوت غذاءٌ لدودِ القزّ.
قالت الأم: وثمارُها اللذيذة ذاتُ الطعم الكثيف الحلو
والحامض، تُقوّي الجسمَ، وتُمدُّه بالفيتامينات والمعادن
الضروريّة.

سارت بهم الشّاحنةُ عبرَ الغوطة الخضراء إلى مدينة
دمشق. كانت الشّوارعُ خاليّةً، والأبنيةُ العاليةُ لا تزالُ نائمة.
وصلوا إلى المدينة القديمة باكراً. رأت توتة تمثالاً لفارسٍ
يتمطي حصاناً. تساءلت:
ما هذا؟

قال عبدو: إنّهُ تمثالُ صلاح الدّين الأيوبيّ، وهذه قلعةُ
دمشق.

قال الأب: انظري إلى ذلك السُّوق المسقوف! إنّهُ يُدعى
سوق الحميديّة.

سارت السيّارةُ في طريقٍ إلى جانب القلعة. نقلوا مُنتجاتهم



إلى عربة خشبيّة. دفع الأب العربة في اتّجاه ساحة الجامع الأمويّ، فهي ساحةٌ كبيرة، مرصوفةٌ بالحجارة الرّمادية، وللجامع بوّابةٌ كبيرة، مفتوحةٌ للزوّار، وحولها المحالّ التجاريّة القديمة.

ركن الأب العربة إلى جانب بقيّة العربات التي تحملُ مختلف البضائع.

سلّم على الباعة، وردّوا عليه السلام بحفاوة:
أهلاً أبا عبدو!

امتعضت توتة، وقالت لهم: إنّ أبي هو أبو عبدو وأبو توتة أيضاً.

ابتسم لها أحدهم قائلاً: إذا أنت توتة.
كان عبدو ينصب المظلة الكبيرة، وتوتة تُرتّب البضاعة.
قالت له:

لماذا لا يُنادون أبي بأبي توتة أيضاً؟
قال عبدو: لا تهتمّي للألقاب، فالأفعال هي الأهمّ،
وأنت قُمتِ بعملٍ جيّدٍ يا أُختي!
ازداد عددُ المارّة، وازداد الحرّ والعطش. نادى الأب:



شامي يا توووت! شامي...

تجمهر الناس حولهم. أطربهم عبدو بصوته الجميل:
اشرب وارو عطشك! بارد... بارد، مال الشام يا توووت!
وغنت توتة للصغار: (هز التوتة يا توات! توتك حلو
يا توات!...)...

اشترت سيّدة كوب شراب لابنها الصغير. كانت تحمل
كيساً تفوح منه رائحة تشبه رائحة بهارات أرز الكبسة.
انسكب بعض الشراب، ولون قميص الطفل بالأحمر.
واشترى رجل مسنّ علبة مربّى، وأحاط بالعربة عدد
من السيّاح، شربوا العصير، وتابّعوا طريقهم لزيارة ضريح
صلاح الدين الأيوبيّ القريب من الجامع الأمويّ، وبعد
ساعات عدّة من العمل، أعطى عبدو توتة كيساً من البذور
لترشّها في السّاحة المُجاورة.

رشّتها توتة، فتجمّعت حولها عشرات الحمام، تنقر
الحبّ. ركضت خلفها. طارت الحمام عالياً، وحطّت
على جدار الجامع الأمويّ العالي. أغمضت توتة عينيها،
ومدّت ذراعيها لتطير مثل الحمامة، وفجأة سمعت صوت



صُراخ. إنها امرأةٌ تبكي، وتصرخُ:

ضاعَ ابني الصَّغير!

تجمّع حولها المارّة، مُتسائلين: كم عمره؟
ما شكله؟

قالت لهم: عمره ستُّ سنوات، ويرتدي قميصاً أبيض،
وشعره أسود، وعيناه بُنَيَّتان.

قال الأب: ما الأماكن التي مشيتَ فيها؟

قالت السيِّدة: كُنّا في سوق البزورية المُجاور، وزُرنا
الجامعَ الأمويّ.

شمّت توتة منها رائحةً بهارات أرزّ الكبسة، فقالت في
نفسها: «لا بُدَّ أنّها السيِّدة عَيْنُها التي اشترتُ صباحاً
شرابَ التُّوت. أنفي لا يُخطئ».

قال عبدو: ما اسمه؟ فلنُنادِه بمُكبرّاتِ الصّوت!

قالت السيِّدة: لن يسمِعكم لأنّه أصمٌّ وأبكم.

قال الأب: سنبحثُ عنه. لا تخافي!

اتَّفَقَ الباعةُ على البحث عن الصَّغير، فمنهم من ذهبَ إلى
الجامع الأمويّ، ومنهم من مضى إلى حيِّ القيمرية، ومنهم



من قصد سوقَ البزورية، أمّا الأبُ فقد اتّجه إلى سوق الحميدية، وأوصى عبده بالعربة وبُحسِنِ مُعاملةِ الزبائن. قدّمتُ توتة إلى السيّدة كُوبَ شرابٍ لتُخفّفَ عنها، ولحقتُ بأبيها.

طلبَ إليها البقاءَ مع عبده، لكنّها وعدتْهُ بِإمساكِ يده طوال الوقت.

دخلا السُّوقَ وسطَ زحامِ النَّاسِ أمامَ المحالِّ التجاريّة التي تعرّضُ كثيراً من البضائع، كالألْبسة والأحذية، وكانت رائحةُ الحقائق الجلديّة تعبّقُ في المكان، تُنافِسُها محالُّ العطور بروائحها الزّكيّة.

قال الأبُ: البحتُ عن الصّغير وسطَ الزّحامِ كمن يبحثُ عن إبرةٍ في كومة قش.

ولمّا وصلا إلى محلّ (بوطة بكداش)، رأت توتة طفلاً ذا شعرٍ أسود، وشفتهُ حمراوان، ويرتدي قميصاً أبيضَ عليه نقاطٌ حمراء. كان يُراقبُ بفضولٍ عبرَ الزُّجاجِ الشُّبانَ داخلَ المحلِّ، يملؤون الأكوابَ بالبوطة المُنكّهة بالفانيلا والمُزيّنة بالفستق الحلبيّ.



قالت توتة: هذا هو الطُّفلُ المفقود.
قال لها أبوها: كيفَ عرفتِ يا توتة؟!
أجابت توتة: شرابُ التُّوتِ الأحمرُ يُلَوِّنُ قميصَهُ وشفتيهِ.
قال الأب: وهل اشترى منّا الشراب؟ كيفَ تذكّرتِه، فقد
اشترى كثيرٌ من الأطفالِ الشرابَ هذا اليوم؟
قالت توتة: صباحاً اشترتُ سيّدةً شراباً لطفلها، وكانت
تفوحُ منها رائحةٌ بهاراتِ أرزٍ الكبسة. شممتُ الرائحةَ
عَيْنَها من السيّدة التي فقدتُ ابنَها.
تعرّفا الطُّفلَ، وكانَ ظنُّ توتة في محله. جاؤوا بالطُّفلِ إلى
أمِّهِ، فضمّتهُ بحنانٍ ماسحةً دُموعَها.
قال الأب: إنّ ابنتي توتة هي التي وجدتهُ.
شكرتها السيّدة، وقالت: شُكراً لك يا توتة! وشُكراً لك
يا أبا توتة!
ابتسمتُ توتة ابتسامةً عريضةً، فأخيراً نادى أحدهم أباهَا
بأبي توتة.
ضحك الأب، ونادى: يا أصدقاء! من الآن فصاعداً نادُوني
أبا عبدو وتوتة.



ضحك الجميع، ووزع الأب عليهم شراب التوت
المنعش مجّاناً.

أهدت السيدة توتة كيس بهارات وزجاجة فيها عطر
الياسمين.

قالت توتة لنفسها: سأحتفظ بالعطر ليذكّرني بهذا اليوم
الممتع، أمّا بهارات أرز الكبسة فمن نصيب أمي، أمّ عبدو
وتوتة.

وفي طريق العودة، كانت توتة تنظر عبر زجاج الشاحنة،
مُدّعة مدينة الياسمين بمبانيها

العريقة وشهامة
أهلها. صور كثيرة،
وروائح زكية، عادت
بها توتة إلى الغوطة،
وقالت في نفسها:
«دمشق مدينة لا
تُنسى».



من إصدارات الهيئة العامة السورية للكتاب

شهر أيلول ٢٠٢٢ م



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٢٢ م
سعر النسخة: ٥٠٠ ل. س أو ما يعادلها